على هامش معالم التقريب *

لا زعامة دينية

يلاحظ محمد عبد الله محمد قيام المصطفى ـ عليه الصلا والسلام ـ بعرض الإسلام على ملوك الروم والفرس والحبشة .. كا أمر الناس آنذاك بيد الملوك، ولم يكن فى تلك البلاد جاليات ومراكز عربية يمكن من خلالها بث الدعوة الإسلامية ولو سرًّا وهو ما كانت الدعوة المسيحية قد فعلته مستخدمة المراكز اليهودي المنتشرة حول البحر المتوسط .

وكان مقصود الدعوة بالقوة المنظمة كصورة من صور الدعو الموجهة إلى الملوك والرؤساء والزعماء المعادين للإسلام .. كا مقصودها قهر السلطة المعادية التى تصد دعوة الإسلام كيما يزو سلطانها ونفوذها السيئ الذى تستغله فى مقاومة ومصادرة انتشا الإسلام . لم يكن المقصود إجبار أحد على دخول الإسلام، وإن تحقيق الحرية والمناخ الذى يتيح لمن يريد ـ اعتناق الإسلام عـ رغبة حرة .

وما حققته الفتوح الإسلامية كان من هذا السيل الذى أزال حواجز الصد " من أمام الدعوة الإسلامية، فدخل عديدون فى دي الله أفواجا .. وكسبت الدعوة أرواحا وقلوبا استيقظت فطرتها تحـ الإسلام بمشاهدة حال آلاف من المسلمين المخلصين وما تحلوا به م ثبات عماده الصدق والصبر . فلم ينتشر الإسلام بقوة الفتح

---

* المال ٢٠١١/٥/٢٦

فالإسلام لا يسمح بتوجيه أى قوة لقهر الفرد على اعتناق الإسلام: " لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ ". (البقرة ٢٥٦) .. فلا إسلام بلا روح ولا حرية ولا إخلاص ولا ولاء حقيقيا لله، ومن أسلم كرها من المحال أن يحمل أى صفة من هذه الصفات الأساسية للإيمان الذى يعتد به الإسلام .

والإسلام انتشر بالفعل، بمئات الطرق، بعد انطلاقه من بيئته الأولى الحاضنة فى الجزيرة العربية، فوصل إلى الصين والهند وجزر المحيط الهندى وإلى بحر قزوين وبحر أورال والبحر الأسود، وإلى أعماق وأطراف أفريقيا وشرقها وغربها، وإلى أوروبا وأمريكا، فضلا عن بلاد الشرق الأوسط وشمال أفريقيا والسودان .. وفى مقال بعنوان : " بل نور الهداية وسلامة اليقين " ـ نشرته بأخبار اليوم ٢٠٠٦/١٢/١٦ وبصوت الأزهر ٢٠٠٦/١٢/١٥ وفى كتاب : " بين شجون الوطن وعطر الأحباب (ط ١ ص ٨٩) ـ فى هذا المقال استقصيت ما نشر عن تعداد المسلمين الآن فى دوائر المعارف العالمية .. وفى كتبها السنوية، وورد بالكتاب السنوى ٢٠٠٤ لدائرة المعارف البريطانية أن عدد المسلمين بمنتصف ٢٠٠٣ قد بلغ فى آسيا ٩٨٦ ٨٨٠ ٠٠٠ مسلم مقابل ٣٢٥ ٠٣٤ ٠٠٠ مسيحى، وأن تعدادهم فى أفريقيا بلغ ٣٤٤ ٠٢٠ ٠٠٠ مسلم، ووصل تعدادهم عام ٢٠٠٥ فى الولايات المتحدة ما يناهز سبعة ملايين مسلم، وتورى الإحصائيات الحديثة أنه قد وصل الآن رغم محاولات التشويه إلى قرابة عشرة ملايين، ونحو أربعة ملايين فى ألمانيا، وقرابة خمسة عشر مليونا فى روسيا.

وهذا الانتشار الواسع، وفى بلاد عديدة لم تجر فيها أى فتوحات إسلامية، قد جعل النسيج الإسلامى حافلا بأشكال مختلفة تبعا لطبيعة الشعوب ولغاتها واختلاف ظروفها الاجتماعية والمادية والتاريخية . ولكن هؤلاء الملايين من المسلمين الذين يناهزون الآن

بليونين - منقادون لله عز وجل، متمسكون بالولاء له ولكتابه المجيد وسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - لا يمحو أحد أو يجور على شخصية أحد، وإنما يسانده ويعينه على الاستمرار فى الاتجاه إلى الله تبارك وتعالى . وهذا هو التوجه الذى يجب أن تعنى به الدعوات الإسلامية المعاصرة .

فى القرآن المجيد :

" قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ " (الناس ١، ٢، ٣) .

تعالى الحق سبحانه علوا كبيرا عن أن يكون حكرا لشعب أيا كان، أو أن تكون معرفته أو الهداية إليه وعبادته والولاء له - امتيازا لشعب أيا كان ..

" وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلا مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ " (البقرة ١١١، ١١٢) ...

" وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاء اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاء وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاء وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ " (المائدة ١٨) ..

وهنا يتوقف محمد عبد الله محمد ليورد أنه خلال الأربعة عشر قرنا التى مرت، لم ينجح أى شعب مسلم فى أن يتزعم - زعامة

دينية - سائر الشعوب المسلمة الأخري .. فلا أفضلية لشعب على آخر .. ولا أفضلية لأحد على أحد إلا بالتقوى والعمل الصالح ..

" يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ " (الحجرات ١٣) ..

وفى الحديث النبوى : " ليس لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى، ولا لأحمر على أبيض، ولا لأبيض على أحمر - فضل إلا بالتقوى " .

الرغبة فى الزعامة الدينية لا تتفق ورسالة الإسلام، ولا تصلح معها دعوة الحق .. وما صدق ويصدق على الشعوب، يصدق من باب أولى على ما هو أضيق وأصغر منها من الجماعات والطوائف والمذاهب والأحزاب والفئات .. وهذا أصل من أصول التقريب .